بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير
مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت
على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا إلى قوله تعالى لا يبغيان
لأن البغي والفجور أخوان بعثرت وبحثرت بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضموم
إليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين
فإن قلت ما معنى قوله ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكريم إنكار الاغترار
به وإنما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم
يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له ما لك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك
فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه قلت معناه أن حق الإنسان
أن لا يغتر بتكرم الله حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكنه
وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا
بالتفضل الأول فإنه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه لما تلاها غره
جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث
أي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أولا
وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض إن أقامك الله يوم القيامة وقال
لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال أقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف
بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية
ويروون عن أئمتهم إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول
غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما أغرك إما على التعجب وإما على الاستفهام من قولك
غر الرجل فهو غار إذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله غارا
فسواك فجعلك سويا سالم الأعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت
فيه فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها
أسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم

كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان أحدهما أن يكون بمعنى المشدد أي عدل بعض أعضائك
ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك
وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات ما في ما
شاء مزيدة أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في
الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه
فإن قلت هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها قلت لأنها بيان لعدلك فإن قلت
بم يتعلق الجار قلت يجوز أن يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه ويجوز
أن يتعلق بمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال إن علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك
ويكون في أي معنى التعجب أي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك أي ركبك
ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله والتسلق به
وهو موجب الشكر والطاعة إلى عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال بل تكذبون بالدين أصلا
وهو الجزاء أو دين الإسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر وإن عليكم
لحافظين تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعني أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون
يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء وأنه
عند الله من جلائل الأمور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة
الكرام الحفظة الكتبة وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين وعن الفضيل
أنه كان إذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين وما هم عنها بغائبين كقوله وما
هم بخارجين منها ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني
في قبورهم وقيل أخبر الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التي
يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم
عنها بغائبين يعني أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول والشدة
وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول
في وصفه فقال يوم لا تملك نفس لنفس شيئا أي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)